مجلة كلية الآداب

مجلة كلية الآداب، العدد **20**، ديسمبر 2025

DOI: 10.36602/faj.2025.n20.23

أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط

*عبد الله سالم بازينة

جامعة مصراتة، كلية الآداب، قسم التاريخ، دولة ليبيا

a.bazina@art.misuratau.edu.ly

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

تاريخ التقديم 2025-08-24 **تاريخ القبول** 2025-09-24 **نشر إلكترونيا في** 2025-09-25

ملخص البحث :

مثّلت التجارة عبر الصحراء في العصور الوسيطة عصب التواصل الحضاري بين شمال إفريقيا وجنوب الصحراء، حيث لم يقتصر دورها على تبادل السلع فحسب، بل شكّلت قناة لنشر الثقافة العربية الإسلامية في عمق القارة الإفريقية، وقد أسهم التجار المسلمون من خلال تعاملهم القائم على الأمانة والقدوة الحسنة في كسب ثقة المجتمعات الإفريقية، مما مهّد الطريق لقبول الإسلام بشكل طوعي وسلمي، وتحوّلت المدن التجارية مثل تنبكت وأودغست إلى مراكز إشعاع ثقافي وديني، كما نظّمت معاهدات كمعاهدة البقط حركة التجارة والتبادل الثقافي، وجاء هذا البحث ليبرز أهمية هذا الدور الحضاري، بهدف تحليل آليات التواصل التجاري والثقافي، والإجابة عن إشكالية تأثير هذه العلاقات على تشكيل الواقع الحضاري للمنطقة، وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، وتوصل إلى نتائج أهمها أن التجارة كانت عاملاً حاسماً في خلق روابط ثقافية دائمة، ونقض الادعاءات الأوروبية بتخلف المنطقة وعزلها، كما أكد أن تحول الطرق التجارية من البرية إلى البحرية كان السبب الرئيسي خلف تراجع مراكزها الحضارية.

الكلمات المفتاحية : *أفريقيا، التجارة، الإسلام، الممالك، العصر الوسيط.*

هذا العمل مرخص بموجب **CC BY-4.0**

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

1. المقدمة

مثلت التجارة منذ فجر التاريخ ركيزةً أساسية في بناء الحضارات، وتشكيل نسيج العلاقات البشرية، فكانت المحرك الخفي لتبادل المنافع والمعارف بين الأمم، فقد كانت هذه الممارسة تمثل شريان الحياة الذي يربط بين الأفراد والجماعات، ليس فقط كوسيلة للبقاء، بل كجسر للتواصل والتبادل الثقافي، والمثير للاهتمام أن نشأة التجارة كفعل جماعي قد سبقت ظهور التاجر كمهنة متخصصة، ففي عصورها الأولى، لم تكن حرفةً يُكرّس لها الإنسان وقته بالكامل، بل كانت نشاطاً عارضاً يمارسه الجميع؛ حيث كان الفرد يبادل فائض إنتاجه من محاصيل أو أدوات أو حيوانات، بما يحتاج إليه من سلع لدى طرف آخر، في عملية مباشرة وبسيطة عُرفت بالمقايضة، واستمر هذا النمط لقرون طويلة دون حاجة إلى وسيط محترف، ومع تطور المجتمعات واتساع رقعة الاحتياجات، انتقل التبادل من كونه مبادرة فردية محلية إلى ظاهرة جماعية عالمية، فقامت حركة التبادل التجاري بين مختلف الحضارات والشعوب، لتصبح قوة محركة للتاريخ ومشكّلةً لمصير الأمم، وقد أدى هذا التبادل إلى نسج شبكة معقدة من العلاقات الدولية القائمة على رباط المصالح المشتركة، الذي أثبت متانته وقوته عبر العصور، فبات أقوى من روابط الدم واللغة في كثير من الأحيان، ولم تقتصر فوائد النشاط التجاري على الجانب الاقتصادي فحسب، بل تجاوزته إلى إحداث تحولات اجتماعية وثقافية عميقة، فممارسة التجارة منحت التجّار والمشتغلين بها قدراً كبيراً من حرية الحركة والترحال بين المجتمعات المختلفة، حاملين معهم بضائعهم، وأفكارهم، وعاداتهم، وقصصهم، وهكذا عملت العملية التجارية كأداة فعالة للانصهار الثقافي والاجتماعي، حيث تلاقحت الحضارات وتفاعلت، وتبادلت المعارف والتقنيات، ليس عبر الغزوات أو الحروب فقط، بل عبر قوافل التجارة السلمية، لقد مثّل كل تاجرٍ ثقافة بلده بشكل غير رسمي، وساهم في إذابة الفواصل بين المجتمعات المتباعدة، مما مهّد الطريق لولادة مجتمعات جديدة أكثر تنوعاً وتعدداً، تكون فيها الثقافات والعادات والتقاليد مزيجاً غنياً من ألوان العالم المختلفة، وبهذا تتجلى التجارة ليس فقط كنشاط اقتصادي، بل كظاهرة إنسانية شاملة كانت ولا تزال أحد أهم العوامل في صياغة ملامح عالمنا المعقد والمترابط.

1. 2 أهمية البحث:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يدرس جانبا من الجوانب الحضارية والمتعلقة بالوضع الاقتصادي وبالتحديد في أفريقيا جنوب الصحراء، والتي تعد من أهم المراكز التجارية خلال العصر الوسيط؛ وهي لا تزال مركز تجاري مهم إلى وقتنا الحاضر.

3.1 أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- التعريف بالتجار المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء.
- إبراز دور معاهدة البقط (معاهدة النوبة).
- تبين دور التجارة الكارمية.

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

- توضيح علاقة تجار الشمال الأفريقي بممالك وشعوب جنوب الصحراء.
- التعرف على أهم المدن والمراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها.

1. 4 الإطار الزماني والمكاني:

الزماني: من الصعب تحديد فترة قيام الممالك الاسلامية في شرق أفريقيا؛ ولذلك يمكن القول بأنها فترة العصر الوسيط. أما عن المكاني: تقع أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ ومنها أخذت مصطلح أفريقيا جنوب الصحراء.

1. 5 إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في سؤالها التالي: ما أثر العلاقات التجارية لتجار الشمال الأفريقي المسلمين بممالك وشعوب جنوب الصحراء خلال العصر الوسيط، وماذا ترتب عليها؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية، هي:

- من هم التجار المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء؟
- ما هي معاهدة البقط (معاهدة النوبة)؟
- ما المقصود بالتجارة الكارمية؟
- ما علاقة تجار الشمال الأفريقي بممالك وشعوب جنوب الصحراء؟
- ما هي أهم المدن والمراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها؟

1. 6 منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي السردي، الذي يعتمد على المصادر والمراجع بالإضافة للمنهج الوصفي، وذلك للوصول إلى النتائج التي تهدف إليها هذه الدراسة وأهميتها.

2. الجذور التاريخية للعلاقات التجارية بين شمال أفريقيا وجنوب الصحراء:

لقد كان للتجارة دور مهم في ربط الصلات ما بين الشمال الأفريقي، وشعوب بلاد السودان الغربي والأوسط، كما هو الحال مع غيرها من شعوب شرق القارة (غيث، 2005، ص156)، فالصحراء الكبرى منذ القدم لم تشكل عائقاً دون تواصل الشمال بالجنوب بل حدثت عدة محاولات لاختراقها، فقد تمكنت مجموعة من شباب النسامونيين (Nasamons)[*] بليبيا من عبور الصحراء والوصول إلى نهر النيجر (يونس،1991، ص 13)، وقد ذكر هيرودوت مسار رحلة هذه المجموعة المدفوعة برغبة المغامرة وحب الاكتشاف، حيث اختار النسامونيين بالقرعة خمسة من شبابهم ارتحلوا في الصحراء في اتجاه الغرب، واجتازوا منطقة صحراوية إلى أن وصلوا إلى سهل يكثر فيه النخيل، فأخذوا في التقاط ثماره، وقد جاءهم رجال من الأقزام ساقوهم أسرى إلى مدينة تقع إلى جوار نهر كبير يجري من الغرب إلى الشرق لعله نهر النيجر (يونس،1994، ص 19).

[*] النسامونيين: مجموعة القبائل التي غطت المناطق الواقعة على ساحل خليج سرت = (عبد العليم،1966، ص66).

فهذه المغامرة التي اخترقت الصحراء هي أول محاولة ذُكرت للوصول إلى نهر النيجر، وأكدت وجود التواصل بين ليبيا ومناطق ما وراء الصحراء منذ أقدم العصور، فالإنسان في ليبيا منذ القدم لم يتعامل مع الصحراء على أساس أنها عالم مجهول لا يمكن اكتشافه، بل إن الآثار والنقوش الصخرية تُعطي مؤشرات دقيقة على وجود نشاط بشري يدل على أن الصحراء الكبرى كانت أسهل اختراقاً في العصور القديمة (يونس،1991، ص13).

فليبيا تعتبر البوابة الإفريقية تجاه أوروبا من خلال البحر المتوسط، ومثلث مراكز التجمع في الأراضي الليبية، من موانئ وواحات الصحراء، محطات تجمع للقوافل المتحركة بين مناطق المغرب العربي والدول الإفريقية لتبادل البضائع (الفيتوري،1972، ص8)، وبحكم هذا الموقع شكلت ليبيا حلقة الوصل والطريق التجاري بين وسط القارة وجنوبها مع أوروبا في الشمال (محمد،2003، ص152).

فوجود قبائل الجرامنت بفزان، والتي سيطرت منذ القدم حتى الفتح الإسلامي على طرق التجارة مع شعوب مناطق ما وراء الصحراء، يؤكد وجود علاقات وثيقة بين ليبيا والمناطق الأفريقية، وكانت همزة الوصل بين سواحل البحر الأبيض المتوسط وأرض السودان الغربي، فالنقوش المحفورة على الصخور، وما أورده هيرودوت عن الجرامنت، تؤكد تلك الصلات من خلال طرق العربات التي تجرّها أربعة خيول في وسط الصحراء، وهذه إشارة واضحة إلى الصلة والاحتكاك المستمر بين الجرامنت وسكان المناطق الأفريقية فيما وراء الصحراء (يونس،1994، ص 19).

كما أن استيراد العاج والجلود من قبل الرومان ومن مناطق فزان، يدل على وجود الصلات؛ لأن منطقة فزان لا تشتهر بهاتين السلعتين، وهو أمر دفع بالدولة الرومانية إلى محاولة السيطرة على هذه التجارة الوافدة من مناطق ما وراء الصحراء، فأرسلت الكثير من الحملات العسكرية من (20 ق.م إلى 86م)، بهدف إخضاع فزان للحكم الروماني.

غير أن قوة الجرامنت المتنامية آنذاك قد حالت دون أن تحقيق هذه الحملات العسكرية أهدافها، وظل الجرامنتيون يسيطرون على طرق التجارة بين البحر الأبيض المتوسط والسودان الأوسط (يونس،1991، ص 14)، وقامت بدور فعال في إيجاد الصلات التجارية المتينة بين موانئ البحر الأبيض المتوسط، وأراضي السودان الغربي في القرن الخامس ق.م (محمد،2003، ص 152).

كما كان للفينيقيين في القرن الخامس قبل الميلاد دور كبير في العلاقات التجارية مع الأفارقة جنوب الصحراء، حيث أسسوا مستعمرات تجارية على الساحل الغربي لأفريقيا، وهم الذين وصفهم هيرودوت بأصحاب التجارة الخرساء أو التجارة الصامتة مع الأفارقة (زيربو،1994، ص 135).

وقد جاء في معجم البلدان وصف دقيق للتجارة الخرساء حيث أشار ياقوت أن التجار من بلاد لمتونة عندما يصلون إلى الموضع الذي يحجز بينهم وبين أصحاب بلاد السودان، يضربون طبولاً معهم كبيرة تُسمع في الأفق، فإذا علم التاجر أنهم سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع، ووضع كل تاجر ما يخصُّه كل صنف على جهة، ويذهبون عن الموضع، فيأتي السودان ومعهم التبر، فيضعون إلى جانب كل صنف منها مقداراً من التبر وينصرفون، ثم يأتي التاجر فيأخذ ما وجد بجنب بضاعته من التبر ويتركون البضائع وينصرفون بعد أن يضربوا طبولهم (ياقوت الحموي، د.ت، ج2، ص 12، 13)

ثم كان لقرطاج دور هام في الحركة التجارية بين سواحل الشمال الإفريقي، ومناطق ما وراء الصحراء الأفريقية، حيث استمدت قرطاج أهميتها وازدهارها من خلال تلك العلاقات التجارية الوطيدة، وظلت التجارة مزدهرة بين سواحل الشمال الأفريقي ومناطق ما وراء الصحراء حتى فترة انهيار روما، فتدهورت التجارة بعدها على الرغم من محاولات الحكم البيزنطي (سعودي،1980، ص 82).

كذلك قامت علاقات تجارية بين مصر والبلدان الواقعة على حوض النيل إلى الصومال وشرق أفريقيا وغربها ومنها في عهد الملك ساحورع، وهو أول ملك أثبتت آثاره أنه مؤسس المواصلات البحرية مع الصومال (محمد، 2003، ص 63).

ثم كان تجار البربر الذين قاموا بنشاط تجاري واسع وهناك تجار من بلاد التكرور والهوسا والفولاني، وكل هذه التجارات نَمَتْ في ظل الإسلام، فخدمها الإسلام وخدمته، حتى قيل: "إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير" (شلبي، 2000، ج6، ص 204).

إن طائفة التجار تعدّ من أهم الطوائف التي نشرت الإسلام في غرب أفريقيا، فقد كانت القوافل التجارية تنقل الأسلحة والملابس من شمال أفريقيا إلى غربها، ويتم بيع البضائع في مناطق غانا وغينيا ومالي وتكرور وسنَغي وكانو وبرنو، ثم تعود القوافل محملة بريش النعام والعاج والتوابل والحرير والذهب والعبيد (الشطشاط، 2004، ص 487).

ثم ازدهرت العلاقات الإسلامية الأفريقية خاصة في المجال الاقتصادي، حيث أدَّى التجار المسلمون من العرب والبربر في بلاد المغرب خاصة، دوراً مهمّاً في توطيد الصلات التجارية بين الممالك الأفريقية القائمة في غرب أفريقيا ووسطها، وبين مناطق البحر الأبيض المتوسط والبلدان الأوروبية، وبنفس الدور أيضاً قام التجار المسلمون في توطيد الصلات بين موانئ ساحل شرق أفريقيا وبلاد الصين (محمد، 2001، ص 37، 38).

3. التجار المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء:

أقام العرب قبل الإسلام علاقات تجارية مع سكان جنوب الصحراء الكبرى، وكانت بعض القبائل تقوم بهذه التجارة، وتطورت التجارة حتى أصبحت هناك حملات

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

تجارية كبيرة ومنظمة، وفي نشـاط متزايد بين أطراف القارة، شمالها وجنوبها وشـرقها وغربها، وقد ألفت مناطق جنوب الصحراء هؤلاء التجار قبل دخول الإسلام إليها (الفيتوري، 1998، ص 100، 101)، وكـان هؤلاء التجـار قبـل الإسلام يجسّدون حياة الجاهلية الأولى بكل أشكالها، وقد أثّر ذلك إلى حد كبير في طرق تعاملهم مع الأفارقة، ذلك التعامل الذي كان مبنيّاً على الكبرياء والغطرسـة، فقد كانوا يتعاملون بالرباء، وأكل الأموال بالباطل، وعدم الاهتمام بمصـدرها أيّاً كان، كما كان منهم من يعيش حياة الفسـق والفجور، ومنهم من يقوم بإجبـار الأفـارقـة على القيـام بأعمال السُخرة، ويعتبرونهم سلعة رائجة قام عليها ركنٌ مهمٌّ من أركان حياتهم الاقتصـادية، التي تمثلت في تجارة الرقيق (الفيتوري، 1998، ص 101).

وعندما جاء الإسلام ودخل هؤلاء التجار في الإسلام، صـقلهم بمبادئه السَمحة، وسـيّرهم وفق قواعد هذا الدين، فأصـبح التاجر في ظِل الإسـلام يتّخذ من الشـرف والثقة والأمـانة دعـامة لتجارته، ولا غرو، فالتاجر المسـلم لا يسـتطيع أن ينسـى وهو يعامل الآخرين (شـلبي، 2000، ج6، ص 204، 205)، قولـه تعالى: [وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْـتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَـالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِـرُونَ (3) أَلا يَظُنُّ أُولَئِـكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5)] (سـورة المطففين: الآيات 1 – 5).

وأصبح تعامـل التاجر المسلم على أسس القـرآن الكريم قـال تعالى: [وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاتُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (7)] (سورة الرحمن: الآية 7).

فالتاجر المسلم إذا دخل قرية وثنية سرعان ما يلفت إليه الأنظار بكثرة وضـوئه، الذي هو مظهر النظافة المحببة إلى النفس البشرية، هذا بالإضافة إلى انتظامه في أوقات الصلاة والعبادة التي يؤدّيها بنظام ثابت، وفي خشـوع كأنه يخاطب كائناً خفيّاً، ومنظره في سـجوده وسـكينته يُضـفي عليه من المهابة والجلال ما يحرّك فطرة الأفريقي الوثني، فضـلاً عما يتحلى به من سمو عقلي وخُلقي ومكارم الأخلاق، ونظافة البدن (أرلوند، 1970، ص391).

إن مزاولة التجّار لفروض الإسـلام من صـلاة وصـوم وصـدقة، أدّت إلى إثارة انتباه الأفريقيين (الأحمر، 2008، ص173) فنظافتهم وأمانتهم وصـلاتهم ومظهرهم الجميل وملابسهم البيضاء، كانت تجذب الأفارقة وتؤثر فيهم (عبد الحليم، 1999، ص 35)، فكان من شـأن كل ذلك أن يوثق العلاقات بين تجّار المسـلمين وبين المتعاملين معهم، ويخلق لوناً من الجاذبية والتقدير، ويتم في هذا الجو تبادل السلع والأفكار (كيتا، 1996، ص29).

كل هذه الصـفات الحميدة اسـتمالت القلوب إليهم، وفرضـوا من خلالها احترامهم وثقة الأهالي بهم، اللذين ألفوا منهم حياة الغطرسـة والتكبّر واللامبالاة، وفي الوقت نفسـه كـان هؤلاء التجـار يُبـدون لهم اسـتعـدادهم ورغبتهم في

إمدادهم بمزايا هذا الدين، كما شـــاهدوا هذه الفئة وهي تقوم بأعمال خيّرة من إخراج الصـــدقات والزكاة وتوزيعها على المحتاجين، وهذه الأعمال التي حلّت محل تعاملهم بالربا وعدم إيفاء الكيل والميزان (أرلوند،1970، ص 301).

فحرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمـــع (حسن، 1963، ص73)، فاحتكاكهم المباشر بالسكان يجعلهم يؤثّرون فيهم، وكان سكان المناطق التي يحلّون بها يقتدون بهم في معاملاتهم وتصرّفاتهم وسلوكهم اليومي في الحياة، مما كان يدفع هؤلاء الوثنيين إلى ترك دين آبائهم والدخول في الدين الجديد (أحمد، 1986، ص 27).

والتجار المســـلمون كانوا يتركون زوجاتهم في أوطانهم، فبذلك يعسر عليهم أن يعيشوا عدّة شهور دون زوجات، ومن هنا يتخذون لهم زوجات في المكان الذي يتهجّر فيه، ويصـــبح بيته مركزاً إســـلامياً، يلعب دوراً كبيراً في خدمة الإسلام (شلبي، 2000، ج6، ص 205).

ونتج عن هذا الارتباط اســـتقرار التجار المســـلمين في المدن الأفريقية وتكوين أحياء خاصـــة بهم، أقاموا فيها مســـاجد ومدارس لتعليم القرآن الكريم، وأضـــحى التجار يقومون بمهمة الدعوة إلى جانب نشاطهم التجاري (حسن، 1963، ص 214)، وكان القليل منهم من يجيد الفقه والفكر الإسلامي، وليس منهم من يستطيع التفرّغ لذلك، فنجدهم يســـتقدمون الفقهاء والعلماء لهذه المناطق، عندما يكثر عدد المســـلمين بها، ويتولى هؤلاء العلماء تعليم الناس أمور دينهم (شلبي، 2000، ج6، ص206)، وأكثروا من بناء المساجد والمدارس والزوايا، لتعليم أطفال الزنوج، ونشر الإسلام بينهم، وقاموا بإرسال أفذاذ الطلاب من الوطنيين إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة، في القاهرة ودمشق وبغداد وفاس والقيروان، ليتلقوا المزيد من العلم والدين، وعندما كثر إقبال الأفريقيين على الســـفر للتعلّم في المعاهد العلمية الشـــهيرة، قام كثير من التجّار ببناء البيوت لهم بالشـــمال، يعيشـــون بها طيلة التحاقهم بهذه المعاهد، كما قدّم هؤلاء التجار ما احتاجه هؤلاء الطلاب من نفقات ومصـــروفات (عبد الحليم، 1999، ص36؛ شلبي، 2000، ج6، ص 206).

لقد كان بعض التجّار يجمع بين التجارة والتعليم بأنفســـهم، فيحوّل الواحد منهم دكانه في الليل إلى مكتب لتعليم أطفال المســـلمين والوثنيين، وكانوا يقدّمون أنفســـهم لبلاط الملوك الوثنيين فيلاقون الترحـــاب، ويُصـــبحون مستشارين لهم، مما كان يؤدي إلى إسلام الملوك وحاشيتهم، ومن ذلك أن الملك (أميتســـا) ملك أوغندة، منح التجار المســـلمين حرّية الاســـتيطان في مملكته كعلماء وأســـاتذة للدّين، وبهذه الوسيلة أمكن للإسلام أن يصل إلى قلوب كثير من الأهالي (عبد الحليم، 1999، ص 31-36).

وإذا كان لهؤلاء التجار دور هام في نشـــر الإســـلام في المنطقة، فإن انتشـــار الإســـلام أدّى بدوره إلى مُضـــاعفة

النشـــاط التجاري بين شمال أفريقيا وجنوب الصـــحراء الكبرى، وأصـبح للتجارة مكانة خاصـة (غيث، 2005، ص 159)، ومما يدل على قوة الصِـــلات التجارية بين الشمال والجنوب، المثل السائد في شمال أفريقيا الذي يقول: "إن يجرب جملك فعليك بالقطران... وإن تفتقر فسـافر إلى السودان" (قداح، 1975، ص141).

وبهذا أصـــبح هؤلاء التجار يشـــكّلون طبقة متميزة في المجتمع، حتى إن بعض القبائل الأفريقية اتخذت من التجارة حرفة رئيســـية عُرفت بها، وكان في المدن التجارية الهامة أحياء خاصـة للتجار المسـلمين، فشـيّدوا فيها دوراً خاصـة لسـنكاهم، تقع فوق مسـتودعات بضـائعهم، وكان ذلك مدعاة للاختلاط والامتزاج والتبادل الثقافي والحضاري، بين هؤلاء الوافـدين وإخوانهم من مســـلمي المنطقـة (غيـث، 2005، ص 159).

يـذكر ابن حوقـل بأن العرب عرفوا التجـارة مع أفريقيـا منذ أمد بعيد، ولما ظهر الإسلام وأصبح التاجر مسلماً زاد النشـــاط التجاري بين شمال الصـــحراء وجنوبها، كما زاد النشـــاط الذي كان يقوم به العرب، فقد عنى المســـلمون بالطرق والأمن، وحدّدوا المكاييل والموازين والمقاييس، وأشاع التاجر المسلم حولـه جوّاً من الثقة، فوجد ترحاباً أينما حلّ، وأصبح بيته منارة للفكر الإسـلامي بما يحملـــه من مدنية وحضـارة، فهيأ ذلك للإسـلام فرصـة الانتشـار مع التجارة (ابن حوقل، 1979، ص99).

ومنذ القرن الثاني عشـــر الميلادي اختفت إلى الأبد التجارة التي تعتمد على المقايضة والإشارة، وأدخل الإسلام إلى تلك الأصـقاع نظام الصـكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية (قداح، 1975، ص 139).

ونتيجة لهذا النشـاط التجاري الواسـع الذي سـاد شمال أفريقيا ووسـطها وشـرقها وغربها، وما نتج عنه من انتشـار الإسلام والثقافة الإسلامية، نشطت أيضاً قوافل الحجيج، التي كانت في الوقت نفسه قوافل للتجارة، التي كان يمارسها الحجاج على طول طريقهم إلى الأراضـــي المقدّســـة، وفي الأماكن المقدســـة يلتقي الأفارقة الشـــعوب الإســـلامية المختلفة، ويشـــعرون بروح الأخوّة الإســـلامية التي فرضـــها الإسلام، فيعود هؤلاء الأفارقة إلى بلادهم ممتلئين بالحماسة لنشـــر هذا الدين، كذلك يعودون محمّلين بالكتب الدينيّة التي تزيد من علمهم وثقافتهم، الذي كان لـــه أثر في نشر الإســـلام، وكان المســـلمون الأفارقة يرون ارتفاع المكانة الاجتماعية لإخوانهم وأقربائهم الذين أدّوا هذه الفريضـــة، فيُقدِمون هم الآخرون عليها، ولذلك تعدّدت قوافل الحج التي كـانـت تخرج من هـذه البلدان الأفريقية، والتي كـانـت تضـــم آلافا، على رأســـها الملوك والحكام في أحيان كثيرة (عبد الحليم، 1999، ص 12، 13).

ولعل من أشهر الملوك الذين أدّوا فريضة الحج هو (منسى موسى)[*] سُلطان مالي الإسلامية الذي قام برحلته الشهيرة إلى الحج[**] على راس موكب كبير في عام (723هـ/1323م)، وجذبت تلك الرحلة أنظار العالم الإسلامي إلى مالي، وبدأت تظهر على الخرائط التي رسمها الرّحالة في ذلك الوقت، وعند عودته من الحج جلب معه التجار والعلماء والفقهاء إلى دولته، وبدأت تفد عليه أعداد وفيرة من مختلف الأقطار(الفيتوري، 1981، ص 248)، ومن الذين جلبهم منسى موسى معه أبو إسحاق الساحلي، وهو مهندس وشاعر أندلسي، وهو أول من أدخل إلى مالي نظام البناء بالطوب المحروق، وكذلك نظام السقوف المسطّحة للمنازل، والمآذن الهرمية الشكل، وأشرف على بناء مساجد غاو وتنبكت (ابن بطوطة، 1960، ص681).

وكذلك قام ملوك صنغاي التي خلفت مالي بأداء فريضة الحج ومن أشهرهم (أسكيا الحاج محمد الأوّل) الذي قام بأداء فريضة الحج سنة (902هـ/1496م) (علي، 1997، ص 68).

وأدّى كذلك بعض سلاطين الكانم والبرنو، الذين كانت دولتهم تقوم حول بحيرة تشاد فريضة الحج، حيث قام الحكّام على تيسير أداء هذه الفريضة، وأوّل من حج من مايات برنو المسلمين (الماي أوم) حوالي (490هـ/1097م)، وقد مات في مصر ودُفن بها، في زمن الخليفة الفاطمي المستعلي أحمد (488 – 495هـ/1095-1101م)، وحج (الهادي دونمة بن أوم) أكثر من مرة، وبهرت مراكب حجه أهل مصر، وقد غرق عند عيذاب أو السويس وهو في طريقه إلى مكة في حجته الثالثة أو الرابعة حوالي عام (546هـ/1151م)، وكان ذلك في زمن الخليفة الفاطمي الظافر بأمر الله أبي منصور (511-549هـ/1149-1154م) (طرخان، 1975، ص 72).

وكان حكام بلاد السودان النيلي والصومال والحبشة يؤدّون هذه الفريضة، وكانوا يحرصون على ذكر لقب الحاج قبل أسمائهم، مثلما كان يفعل إخوانهم في شمال أفريقيا وغربها (عبد الحليم، 1999، ص 13).

وعند تناول العلاقات التجارية بجنوب الصحراء يكون لزاماً الحديث أولاً عن معاهدة البقط أو معاهدة النوبة كما يسميها البعض، والتي عقدها المسلمون مع النوبة وأثرها في فتح المجال أمام التجار المسلمين للتوغل في النوبة ثم إلى دواخل القارة، وكذلك دور التجارة الكارمية في تنشيط

(*) هو موسى بن أبي بكر بن سالم التكرورى، ويلقب بالأشراف، أما كلمة منسا فمعناها في لغتهم الملك أو السلطان = القلقشندي، 1987م، ج 5.

(**) للمزيد من التفاصيل عن رحلة منسا موسى إلى الحج، راجع = أحمد،1987م).

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

حركة التجارة بين المسلمين والأفارقة، ومكانة تجار شمال أفريقيا في دول وممالك جنوب الصحراء ودورهم في ربط دول الساحل بجنوب الصحراء.

4. معاهدة البقط (معاهدة النوبة):

النوبة هي المنطقة الممتدة على شاطئ النيل جنوبي أسوان حتى دنقلة بالسودان، وقد وصفها العُمري: "النوبة تلي مصر في نهاية جنوبها على ضفّتي النيل الجاري إلى مصر، وقاعدتها دنقلة ومدنها أشبه بالقُرى والضياع من المدن، قليلة الخير والخِصب يابسة الهواء" (العمري، 2002، ج4، ص 99).

وترجع علاقة المسلمين بالنوبة عندما افتتح عمرو بن العاص مصر، فأحسّ النوبيون سكان سودان وادي النيل جنوب مصر المسيحيين، أن من واجبهم محاربة هؤلاء المسلمين الذين غزوا مصر، بدافع من النخوة الدينية التي دفعتهم لذلك (المسعودي، 1988، ج2، ص 22)، فكثرت غاراتهم على مصر، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مرّات عديدة يستأذنه بأن يسمح له بغزوهم، وفي آخر الأمر سمح له الخليفة بأن يُرسل بعض الغزوات، فخرجت على شكل صوائف وشواتي، حتى تؤدب هؤلاء النوبيين، وتوقف هجماتهم وغاراتهم على مصر(حسين، 1989، ص 81).

فخرجت أول حملة سنة (20-21هـ/642م) بقيادة عقبة بن نافع الفهري، والتقى عقبة بالنوبة في معركة ضارية، أبدى فيها النوبيون مهارة فائقة في رمي النبل وعُنف في المقاومة، يصفهم المسعودي بقوله: "فغزاهم المسلمون –أي النوبة– فوجدوهم يرمون الحدق" (المسعودي، 1988، ج2، ص21).

ولم تكن هذه الحملة الإسلامية الأولى تريد زحفاً جادّاً نحو البلاد النوبية، فعمرو بن العاص لم يكن يطمع في أكثر من تأمين حدود مصر الجنوبية، أو تعقّب بعض الفارّين من الجنوب، أو القواد البيزنطيين، ولعلّها كانت حملة استكشافية تريد أن تستطلع الأحوال في أقصى جنوب مصر (محمود، 1986، ص 282).

وما أن غادر عمرو بن العاص مصر وخلفه عبدالله بن سعد بن أبي سرح، حتى نقض النوبيون العهد بالأمان الذي أعطاه لهم عمرو بن العاص، فما كان من عبدالله بن أبي السرح إلا أن قام بغزو مملكة مقرة عام (31هـ/652م)، حيث عاود العرب الكرة ثانية على بلاد النوبة، ويبدو أن المسلمين استفادوا من سلبيات الحملة السابقة، ومن الإخفاق الذي صادفته في عهد عمرو بن العاص، فأعدوا حملتهم أتمّ إعداد (الغنيمي، 1986، ص43)، فأوغلت حملة ابن أبي سرح في بلاد النوبة جنوباً، ومضت في زحفها حتى وصلت إلى مدينة دنقلة، وحصلت معركة حامية بين الطرفين، استبسل فيها النوبيون، ولكنّهم مالوا إلى الصُلح عندما ضرب المسلمون قلاعهم وكنيستهم بالمجانيق، فأدخل هذا الضرب شيئاً من الرُعب في نفوسهم، مما اضطر ملكهم (قليديوت) إلى طلب الصلح، واقتنع المسلمون

بالمصالحة لأنّهم أحسّوا بأنّهم بعيدون عن مركز إمداداتهم فرغبوا في الصلح أيضاً (حسن، 1956، ص 82).

ثم توصّلوا إلى اتفاقية تختلف عن نوع الاتفاقيات التي عقدت بين المسلمين وغيرهم في ذلك الوقت، وعُرفت هذه الاتفاقية في التاريخ (معاهدة البقط) (قاسم، 1975، ص 142)، وكلمة بقط لاتينية تعني مجموع المدفوعات والالتزامات من طرف إلى آخر (أبادي، د.ت, ص296 – 297؛ اليعقوبي, ج 2, ص191؛ المسعودي،1988,ج 2, ص21؛ المقريزي، د. ت, ج1, ص200؛ البلاذري، 1957م, ص237 – 238؛ ابن خرداذبة، 1841م, ص 92).

لقد قضت هذه المعاهدة بأن يدفع ملك النوبة إلى بيت المال في مصر (362) رأساً من الرقيق كل عام، يدفع للوالي بمصر أربعين رأساً، وحاكم كورة أسوان الذي يتولّى تسليم الرقيق عشرين رأساً، ومبعوث الوالي الذي يجيء إلى أسوان خمسة، وللشهود العدول عن معاهدة البقط وعددهم أثنا عشر، رأساً واحداً، والموضع الذي يتسلّم فيه هذا البقط، ويحضره من ذكر وغيرهم من النوبة من ثقات الملك، يعرف (بالقصر) وهو على ستة أميال من مدينة أسوان بالقرب من جزيرة بلاق (المسعودي، 1988، ج2، ص 21).

كما يتعهّد النوبيون بحفظ المسجد الذي ابتناه المسلمون في دنقلة ولا يهدموه، وفي مقابل ذلك يقوم المسلمون بإمداد النوبة بألف اِردبّ من الغلال، ويهادى السفراء بثلاثمائة اِردبّ، كما يُرسل المسلمون حبوباً أخرى كالعدس إلى جانب الأقمشة (ابن خرداذبة، 1841، ص 92).

وتعتبر هذه المعاهدة عبارة عن هُدنة أمان، أو معاهدة عدم اعتداء، يلتزم بها الطرفان، وتقوم على المنافع المشتركة والتجارة بين المسلمين والنوبيين (الغنيمي، 1986، ص 44).

وكان النوبيون أكثر رغبة من المسلمين في الاتفاق؛ لأن الكنيسة الآن في قبضة العرب، وكذلك مسارب التجارة ومسالكها، ومن ثم تبلورت هذه الرغبات المتبادلة في معاهدة البقط الشهيرة، وأصبحت بلاد النوبة من وجهة نظر الدولة الإسلامية في مصر سوقاً كبيراً، أو منطقة نفوذ إسلامي، كما عملت ممالك النوبة على تنفيذ هذه الاتفاقية ومدّ مصر بما تحتاجه (حسن، 1957، ص283_285).

لقد كانت هذه المعاهدة معاهدة مصالح مشتركة وتأمين النواحي الاقتصادية والتجارية، وتشجيع التبادل التجاري، وتنظيم طبيعي للعلاقات، وإقرار للسلام على الحدود المشتركة، وبمثابة فتح الباب أمام الهجرات الإسلامية ومنفذاً لأفريقيا جنوب الصحراء، ودول وممالك شرق ووسط أفريقيا لتنفذ في هدوء وطمأنينة، وكانت هذه المعاهدة استهلالاً لتسّرب الإسلام إلى بلاد النوبة تسرّباً سلمياً في فترة

استمرّت حتى بداية العصر المملوكي في مصر (حسن، 1957، ص284).

وظلّت اتفاقية البقط تمثّل الركن الأساسي في التعامل بين المسلمين والنوبة لمدّة لا تقل عن ستة قرون، وقد كان من فوائدها أنّها مهدّت للمسلمين دخول بلاد النوبة دون أن يصيبهم مكروه، كما سمحت لهم أن يزاولوا الشعائر الدينيّة بحرّية، وعن طريق هذا التبادل التجاري الذي نظّمته معاهدة البقط، والأصول والقواعد التي وضعتها، زاد التسرّب السلمي للإسلام، فقد اعترفت المعاهدة بحرية المرور التجاري بين القطرين "...وعليكم حفظ من نزل بلدكم أو يطرقه من مسلم أو معاهد حتى يخرج عنكم "، ومعنى هذا أن تجار المسلمين كان باستطاعتهم أن ينفذوا إلى بلاد النوبة، وأن يقيموا فيها متاجرين غير مستقرّين، وأن تؤمن أموالهم وأنفسهم (حسن، 1957، ص282،287،286).

إن هذه المعاهدة فتحت الباب أمام المؤثّرات الإسلامية لتنفذ إلى البلاد في هدوء وسلام، فقد نفذ الإسلام في أقل من عشر سنوات منذ الحملة الأولى في عام (21هـ/641م) ثم إلى معاهدة البقط عام (31هـ/652م) بدليل بناء المسلمين لمسجد لهم في عاصمة شمال السودان (دنقلة)، وأتاحت للمسلمين الاتصال بالنوبة، ثم المرور والانتقال جنوباً، مما أتاح الفرصة أمام المسلمين للانطلاق جنوباً حتى مملكة علوة –ما يقترب من مدينة الخرطوم حالياً– حيث العاصمة (سوبا) فنشروا هناك اللسان العربي والدين الإسلامي (الغنيمي، 1986، ص46_53).

فأصبح هؤلاء التجار يخالطون أهل البلاد ويتحدّثون إليهم، وكان تجار المسلمين عادة من خيرة الدُعاة إلى الإسلام، وكانت أعداد التجار تتزايد، ويزيد نشاطهم التجاري والديني كلّما نمت العلاقات بين البلدين، والتجار النوبيون بدورهم كانوا يتحدّثون عن أحوال البلاد الإسلامية الدينية والثقافية، عند رجوعهم لبلادهم، ويتأثّرون بما يشاهدون من معالم الحضارة (حسن، 1957، ص287).

واستمرّت العلاقات بين المسلمين والنوبة إلى أن قدم أحد المطالبين بالعرش واسمه شكنّده إلى السُلطان المملوكي بيبرس، الذي انتهز الفرصة فجرّد جيشاً سنة (675هـ/1276م) بقيادة آقسنقر الفارقاني الأستادار، وأيبك الأقرم، فأوغل الجيش في بلاد النوبة، والتقى الجيش النوبي، فدارت الدائرة على النوبيين، وانتهت المعركة بهزيمتهم وفِرارهم، وأوغل الجيش المملوكي في البلاد حتى وصل إلى دنقلة، واستطاع هزيمة جيش الملك داود الذي فرّ من المعركة، وعيّن شكنّده ملكاً للنوبة (زكي، 1965، ص20).

وتعتبر هذه الحملة فتحاً للنوبة، ولم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي، حتى كان النوبيون بين أسوان ودنقله بالسودان قد اعتنقوا الإسلام، باستثناء أقلّية نوبية ظلّت على المسيحية حتى أواخر القرن الخامس عشر، وفي هذا القرن

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

تكوّنت مجموعات نوبية مستعربة وهم الكنوز والسكوت والمحس والأناقلة (زكي، 1965، ص21).

5. التجارة الكارمية:

الكارمية ويقال الكانمية بالنون نسبة إلى الكانم: وهم فرقة من السودان، ذلك أن طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر، شأنهم التجارة في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما، مما يُجلب من الهند واليمن فعُرف ذلك بهم، ويَفْتَرض البعض أن الاسم أُخذ من متاجرهم نفسها، إذ وُجد أن كلمة Kuaraima هي لفظة أمهرية تفيد معنى الحبهان، وهو تابل من التوابل اشتغلوا بالإتجار فيه، ثم حُرِّفت هذه الكلمة وأصبحت كارم، وأُطلقت على هؤلاء التّجار (عثمان، 2000، ص45).

وهي فئة من المسلمين نشأت بمدينة قوص بمصر من خليط من مهاجري أهل التكرور بغرب أفريقيا، وبعض الهنود والعرب منذ القرن الرابع الهجري، وأصبحت قوص المركز الرئيسي لتجارة الهند الشرقية، وامتدّت منها شبكة طرق قوافل ومواصلات لتقطع أفريقيا غرباً إلى غرب أفريقيا، كما امتدّت إلى القاهرة، ومنها إلى سواحل أفريقيا الشمالية، إلى أوروبا (مجاهد، 2000، ص125)، واتخذت لنفسها اسم الكارمية أو الكانمية ، وكانوا على قدر كبير من الورع والتقوى، فجعلوا من أنفسهم دُعاة الى لإسلام إلى جانب اشتغالهم بالتجارة (زكي، 1965، ص20)، وأصبح اسم الكارمية يُطلق على كل من اشتغل بتجارة البهار والفلفل (عثمان، 2000، ص45).

وقد زاد نشاط هؤلاء التجار في العهد الفاطمي، خاصة في عهد الخليفة المستنصر؛ وذلك بسبب توقّف اليهود عن مزاولة هذه التجارة تماماً، فانفرد تجار الكارم المسلمون بها، واهتمام الدولة الفاطمية بهذه التجارة لدعم اقتصادها الداخلي (مجاهد، 2000، ص215)، فقامت بحمايتهم وكان لها أسطول في عيذاب لحماية التجارة الكارمية فيما بين عيذاب وسواكن من قراصنة جزائر البحر الأحمر الذين يعترضون المراكب، وكان عدّة هذا الأسطول خمسة مراكب، ثم صارت ثلاثةً، وكان والي قوص هو المتولّي أمر هذا الأسطول، وكان يحمل إلى هذا الأسطول كل ما يتطلّبه ويكفيه من السلع (القلقشندي، 1988، ج3، ص524).

وسارت الدولة الأيّوبية على نهج الدولة الفاطمية في حماية تجارة البحر الأحمر، والاهتمام بها، وتشجيع الكارمية على التوسّع في تجارتهم، وكان تقي الدين عمر ابن أخ صلاح الدين، قد وقف فندقاً لسكنى التجار الكارمية بمصر (ابن دقماق،1893، ج4، ص30).

وعمل سلاطين المماليك على حماية الكارمية والمحافظة على مكانتهم، حتى أصبحوا في مركز اقتصادي واجتماعي عظيم (عثمان، 2000، ص،45،46)، وقام سلاطين المماليك بحل كل مشاكلهم دونما إبطاء أو تأخير، وكان كثير من مشاكلهم تُعرض على السُلطان، ومن ذلك مثلاً ما أورده المقريزي من أن تجار الكارمية تقدّموا في صاحب سواكن وصاحب جزيرة دهلك بأنّهما يتعرّضان لأموال من

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

يموت من التّجار في بلادهم، فأرسل السُلطان الظاهر بيبرس رسولاً يُنكر عليهما ذلك سنة (662هـ/1263م)ى (المقريزي، 1967،ج1، ص506).

وقد كان للسياسات الإسلامية التي اتبعتها الدولة الإسلامية أثر كبير في زيادة ثروة الكارمية، فلم يكن يسمح للسفن الهندية والصينيّة باجتياز عدن إلى الشمال؛ لأن عملية نقل البضائع الصادرة إلى الشمال كانت موكلة إلى سُفن إسلامية، كما لم يَسمح سلاطين المماليك لأي تاجر أوربّي بأن يتوغّل جنوباً بتجارته أو بمفرده إلى بلاد النوبة، خوفاً من تآمر هؤلاء التجار مع الحبشة ضد المسلمين، وكان هذا هو السبب الظاهر، أما السبب الحقيقي فهو حرص المماليك على عدم معرفة الأجانب بالطرق التجارية المارّة في البلاد (عثمان، 2000، ص46،47).

ونتيجة لهذا سيطر الكارمية على تجارة البحر الأحمر، ووصلوا بتجارتهم إلى السودان الغربي والأوسط والنوبة، كما وصلوا بمتاجرهم إلى بلاد الحبشة، ودول الطراز الإسلامي(*)، والمشيخات الإسلامية على ساحل البحر الأحمر، ولعلّ أعظم ما أقبلت عليه تلك الجهات الأفريقية من متاجر مصر أقمشتها، وكان ملوك المسلمين بالحبشة يؤدّون إلى الحطي (ملك الحبشة) ضريبة سنوية من الأقمشة الحريرية والقطنية التي تأتيهم من مصر، كذلك أصبحت موانئ البحر الأحمر مخازن لتجمّع بضائع الكارمية قبل نقلها إلى مصر (عثمان، 2000، ص47).

وتحت ستار التجارة دخل الكارميون بلاد الحبشة، ولقوا ترحيباً من أمرائها وحكامها، بسبب نشاطهم التجاري الجم، واشتغالهم بتجارة الرقيق بمساعدة ملوك الحبشة أنفسهم، وساعدهم ذلك على نشر الدعوة الإسلامية طول إقامتهم في البلاد، واختلاطهم بالأهالي ومعرفتهم بعاداتهم وتقاليدهم، حتى أسلم على أيديهم كثير من أهل الحبشة (زكي، 1965، ص50)، وكثير من قبائل الجلا والصومال (الشطشاط، 2004، ص489).

ونتيجة للمنافع التي جنتها مصر من التجارة الكارمية فقد أولاهم سلاطين المماليك اهتماماً خاصاً وأنشأوا وظيفة هامة لرعاية مصالحهم، هي وظيفة نظر البهار والكارمي (القلقشندي، 1988، ج4، ص32).

ومن جهود الكارمية في سبيل العلم والثقافة الإسلامية ما قام به عبد العزيز بن منصور الكولمي، أحد تجار الكارمية، حيث كان متسعاً في نفقاته وكان يُكثر البّر والمعروف، ويُخرج زكاة ماله، وله عدّة أوقاف على مكاتب سبيل البر (المقريزي، 1967،ج2، ص132،133)، كذلك عبد اللطيف بن أحمد -أحد رؤساء الكارمية- كان يُعلّم الحديث ويفرّق على كل من سمع عليه ديناراً، كما بنى

(*) الطراز الإسلامي: هي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي البحر الأحمر وما يتصل به من بحر الهند، ويعبّر عنها بالطراز الإسلامي لأنّها على جانب البحر كالطراز له، وهي سبع ممالك بأيدي سبعة ملوك= العمري ، 2002، ج4.

وأوصى محمد بن مسلم بتعمير مدرسة باسمه، ورصد لذلك ستة عشر ألف دينار (عثمان، 2000، ص49).

لقد ساعد هؤلاء التجار الكارمية في ربط العلاقات التجارية بين مناطق جنوب الصحراء، وخاصة بلاد البرنو والكانم، وبلاد الهوسا، بشكل خاص مع بلدان شمال أفريقيا، خاصة ليبيا ومصر، وأسهموا في نشر الإسلام بين الأفارقة، وقاموا ببناء العديد من المنشآت الدينية (الطيف، 2003، ص123).

6. علاقة تجار الشمال الأفريقي بممالك وشعوب جنوب الصحراء:

لقد قام العرب والبربر بدور كبير في هذا النشاط التجاري وأصبحت مدن الشمال الأفريقي مراكز تجارية، بجانب كونها مراكز للعلم والثقافة، ووصلت إليها السلع الأفريقية، فاتجه تجار العرب والبربر واخترقوا الصحراء الكبرى، ووصلوا إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء (عبد الحليم، 1999، ص9)، فرّحب ملوك السودان بهم نتيجة لأهمية بعض المواد التجارية لدولهم، فمثلاً الخيول كانت قد أثّرت تأثيراً بارزاً في العمليات العسكرية في بلاد السودان، وقد حرص ملوك السودان على اقتناء الخيول العربية الجيّدة لتعزيز قوى جيوشهم (الفيتوري، 1972، ص250)، فاخترقت القوافل التجارية الصحراء إلى الدولة الساحلية غانة، التي تبوّأت مكانة ذات شأن منذ القرن التاسع الميلادي، حتى النصف الأوّل من القرن الحادي عشر، وتبادلت مع أهلها التجارة، واتسمت تجارة تلك القوافل في ظل الإسلام بلون حضاري منظّم تنظيماً محكماً، وظهرت بتأثيرها المدن الكبيرة والأحياء النظيفة الراقية في أرض الزنوج، وقد أفردت مملكة غانة في عاصمتها منطقة خاصة بهم، حتى أدّت هذه الصلات التجارية إلى أن أعلن بعض الرؤساء في السودان الغربي إسلامهم ومنهم (وارجابي) حاكم التكرور على نهر السنغال (الظاهر، 2003، ص89).

إن الثراء والجاه اللذين تمتّعت بهما غانه يعودان إلى موقعها الجغرافي بين مناجم الذهب في الجنوب، وملاحات (تاغزا) في الشمال، مما جعل منها محطّة تجارية ذات أهمية كبرى لأفريقيا الغربية ودول الشمال الأفريقي، وسرعان ما وصلت أخبار تلك المملكة الفتيّة إلى الشرق العربي، فمنذ القرن الثامن الميلادي نجد الفزاري يصف غانة بأنّها: (أرض الذهب) حتى كان القرن التاسع والقرن العاشر الميلاديين وجدنا أخباراً مفصلة عن تلك الإمبراطورية في كتابات الجغرافيين والرحالة العرب، تصفها بالغنى والثروة نتيجة لتجارة الذهب (الفيتوري، 1981، ص245).

وكان من الطبيعي أن تجلب غانة إليها قوافل التجار من مدن شمال أفريقيا منذ مرحلة مبكّرة، ويبدو أن أولئك التجار الذين توافدوا على غانة، كانوا من الكثرة بحيث أنهم استطاعوا تأسيس مدينة خاصة بهم جانب العاصمة (كومبي صالح) شيّدت بها أثني عشر مسجداً، وعجّت المدينة بالفقهاء والأئمة والعلماء، وقد تحدّث عنها البكري قائلاً: "...غانة مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي

يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً، بها الأئمة والمؤذنون والفقهاء والعلماء، وتحيط بها الآبار العذبة، منها يشربون، وعليها يزرعون الخضروات" (البكري، 1992، ج2، ص872).

وأسهمت تلك الجالية إسهاماً بارزاً في الحياة السياسية لإمبراطورية غانة، بالإضافة إلى أثرها الاقتصادي يقول البكري: "...وبقرب مجلس الملك يوجد مسجد يصلّي فيه المسلمون الذين يفدون على الملك، وبالمدينة حرس خاص لا يسمح لأحد بدخولها إلاّ بإذن الملك ... وقد عمل ملوك غانة على تولية المسلمين أرفع المناصب في الدولة، فقد كان منهم وزراء وأمراء جيوش، وحرّاس وأُمناء صناديق ومترجمون للملك" (البكري، 1992، ج2، ص873).

لقد عرفت مدن غانة حركة تجارية نشيطة ساعد في تكوينها تجار من الشمال الأفريقي من سجلماسة ودرعة وغدامس، فجلبوا إليها القمح والزبيب والتمر، ويجلب منها العنبر لقربها من المحيط الأطلسي والذهب (حسن، 1957، ص99).

ويذكر السلاوي أن تجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة حاضرة بني مدرار، ثم يَسيرون في قوافلهم إلى غانة، فكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر ذهاباً، وفي شهر ونصف إيَّاباً، فيبيعون ما معهم من الأمتعة بالذهب (السلاوي، 1954، ج5، ص99).

وبحكم الموقع الجغرافي لليبيا قامت، بإنعاش التجارة بين المناطق الأفريقية باتجاه الشرق والغرب والوسط وجزر البحر الأبيض المتوسط، وعموماً مثّلت مراكز التجمع في الأراضي الليبية من موانئ وواحات الصحراء محطّات لتجمّع القوافل التجارية المتحركة بين مناطق المغرب العربي والبلاد الأفريقية لتبادل البضائع (الظاهر، 2003، ص78).

وبرز تجار ليبيّون في كل من (طرابلس وغدامس وأوجلة وفزان وجبل نفوسة) تمتعوا بعلاقات متينة مع مدن بلاد ما وراء الصحراء، واحتفظوا لأنفسهم بمكانة مرموقة في تنبكت نتيجة للدور التجاري الذي قاموا به، لاسيما وأن الجالية الغدامسية تمتّعت بنفوذ كبير فيها، حتى أصبح لها ركن خاص بهذه المدينة، وشغل أفرادها مناصب إدارية عديدة (الظاهر، 2003، ص99)، ومن التجار الذين ارتادوا أودغست من ليبيا (أبو رستم النفوسي) من جبل نفوسة (حسن، 1957، ص99).

ونتيجة لأهمية تجار الشمال الأفريقي من العرب والبربر، فقد تمتّعوا بالكثير من الضمانات والميزات، فإذا ما توفي أحد أفراد تلك الجالية فكل ممتلكاته تكون تحت الضمان، حتى يرجع الإرث إلى أهله، وإذا تعرّض أحد التجار إلى عسف حكام الأقاليم وجورهم، فإنّه يستطيع أن يشتكي مباشرة إلى الملك، وهذا ما جعل حكام الأقاليم يحاولون تقديم كل العون والمساعدة لأولئك التجار، ومن ذلك قصّة التاجر أبي حفص الذي اشتكى إلى الملك أمام

عامة الناس من جور أحد حكامه، واستطاع ذلك التاجر أن يسترد أمواله، بل إن الملك قد عزل ذلك الحاكم في الحين (ابن بطوطة، 1960، ص688_690).

وبالإضافة إلى تلك الامتيازات فهناك من التجار المغاربة من استطاع أن يعقد الصفقات التجارية في بلاط الملك نفسه، ومن ذلك ما قام به تاجر يدعى عبد الوسيع المصراتي من دخوله على السلطان الأسكيا محمد لشراء عدد من العبيد كانوا قد أحضروا من أحد الأقاليم، وحتى قبل أن يوضع أولئك العبيد في الأسواق (الفيتوري، 1981، ص251).

ونتج عن احتكاك هؤلاء التجار واختلاطهم بأهالي تلك البلاد أن حدث تزاوج مع عديد من الأسر المحلّية في المنطقة (غيث، 2003، ص157)، ومن الأدلّة على المكانة العالية التي وصل إليها تجار الشمال الأفريقي الذين عاشوا في تلك المنطقة من وقوع تصاهر بينهم وبين حكّام وأهالي البلاد، ومن ذلك قيام أحد الأمراء بتزويج اثنين من بناته لأخوين تاجرين (الوزان، 1971، ص166).

ولكن عندما ضعفت الدولة الإسلامية، وانقسمت تمكّن البرتغاليون من احتلال مدينة سبتة في (1415/8/14م) ونجحوا كذلك في تحويل طرق التجارة باكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح، ودورانهم حول أفريقيا، ونتيجة لهذه السيطرة الأوروبية انتقل تدريجيّاً جزء كبير من تجارة الصحراء عن المراكز المنتشرة على أطراف الصحراء –التي سوف نشير إليها– إلى مراكز التجارة الجديدة في المناطق الساحلية، ومن جرّاء ذلك انخفض مستوى العلاقات التجارية عبر الصحراء بين الأفارقة والعرب (ظاهر، 2003، ص154،155).

7. أهم المدن والمراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها:

وهنا سأشير إلى أشهر وأهم المراكز التجارية على أطراف الصحراء وجنوبها والتي أشهرها:

7. 1 مُرزق وزويلة:

من أهم المراكز التجارية التي أُنشئت في الصحراء مدينة مُرزق، والتي كان لها أهمية كبيرة في المبادلات التجارية مع بلاد البورنو وشعب الحوصا(*)، فضلاً عن علاقاتها مع طرابلس وغدامس، حيث كانت محطّة تجارية مهمّة تتجمع فيها القوافل التجارية من أنحاء المغرب، وتتّجه منها إلى كانم(**) وبورنو وتنبكت (الطيبي، 1987، ص71).

ثم ظهرت زويلة كمركز تجاري منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وبدأت تأخذ مكان الصدارة

(*) الحوصا: شعب ينتشر في شمال نيجيريا، تأثر بمؤثرات زنجية، وهم لا يمثلون جنساً بذاته، وإنما يُطلق على جميع الشعوب التي تتكلم بهذه اللغة، وكانت قبائل الحوصا تدين بالوثنية قبل أن تتحوّل إلى الإسلام في القرن الثالث عشر الميلادي= (حسن، 1963, ص116).

(**) كانم: وردت في بعض المصادر العربية باسم مدينة تقع في الساحل الشرقي الشمالي لبحيرة تشاد، وهي الأساس لقيام إمبراطورية الكانم= (الطيف، 2003, ص55).

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

حتى أصبحت عاصمة إقليم فزان(***)، وكانت مركزاً تجارياً مهماً للبضائع القادمة من كانم وكوار(****)، فضلاً عن القوافل التجارية التي كانت تصل إليها من طرابلس وجادوا وإجدابيا وأوجلة ومرزق في ليبيا، ومن (دارفور وسنار) من السودان وقد أكسب زويلة هذه المكانة المرموقة موقعها، حيث تقع في بداية طريق كوار الممتدة إلى السودان الغربي والأوسط (الساعدي، 1898، ص81).

لقد رَبطت زويلة بين موانئ البحر المتوسط من ناحية، والسودان الأوسط والغربي من ناحية أخرى، كما وقعت تحت السيطرة الكانمية ابتداء من القرن السابع الهجري، وفي نهاية القرن الثامن الهجري، أصبحت زويلة قاعدة إقليم فزان وأصبحت تحت حكم السودان (الطيف، 2003، ص46).

2.7 مدينة أودغست:

أودغست مدينة من السودان الغربي، وكانت تعتبر حاضرة من حواضر غانة، قال البكري: بأنها تقع بين الزنوج ومدينة سجلماسة، وتبعد عن القيروان بمائة وعشر مراحل (البكري، 1922، ج2، ص851)، وقد شبّهها ابن حوقل بمكة فقال: "أودغست مدينة لطيفة، أشبه بلاد الله بمكة، بين جبلين ذوي شعاب" (ابن حوقل، 1979، ص24)، فهي تبّعد (200) ميل عن عاصمة غانة (كومبي صالح)، وسكانها خليط من العرب والمغاربة المسلمين، وقبائل السوننكي، وقبائل جدالة ومسوفة ولمتونة إحدى قبائل صنهاجة التي تتمتع بحق السلطة (ياقوت الحموي، د.ت، ج1، ص227).

ولقد كانت (أودغست) أوّل مركز إسلامي يظهر في المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، بل إنّها كانت حلقة الوصل بين العناصر العربية والبربرية، وبين العناصر الزنجية، وهي البلد التي ساهمت بنشاط ملحوظ في نشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الزنجية التي بدأت تدخل دين الله أفواجاً، وكان أحد ملوكها وهو الملك (اقيسيو كان) الأودغستي شديد التحمّس للإسلام ونشره بين قومه الزنوج، وإن كان هو في الأصل ينتمي إلى قبائل لمتونة المجاورة للمغرب من جهة الجنوب (الغنيمي، 1986، ص87_88).

لقد كانت الحركة التجارية في أودغست على درجة كبيرة من الازدهار مع الشمال الأفريقي، ومع المدن المجاورة لها، وكان ذهب أودغست من أرقى أنواع الذهب وأكثره

(***) فزان: منطقة كبيرة تقوم فيها قصور ضخمة وقُرى كبيرة ، وكلّها مأهولة بأناس أغنياء بالمال وبحدائق النخيل، وهم واقعون فعلاً على تخوم أغادس، وصحراء ليبيا التي تتاخم مصر= (الوزان, 1979، ص146؛ السعدي، 1898م).

(****) كوار: تقع الآن في الشمال الغربي لجمهورية تشاد، وكانت من القرن السادس الهجري ضمن الأقاليم التابعة لإمبراطورية الكانم وهم من السودانيين المسلمين، وكانت من المحطّات التي ينعم فيها التجار القادمون من فزان بالراحة بعد عناء كبير في الصحراء وتتجهّز منها القوافل التجارية إلى بلاد الكانم ثم إلى ممالك الهوسا = الإدريسي: نزهة المشتاق ، 117/2 .

متانة (الدالي، 1996، ص53، 54)، وما يؤكد الحركة التجارية القائمة فيها ما ذكره ابن حوقل: "...وملك أودغست هذا يخالط ملك غانة، وغانة أيسر من على وجه الأرض ... وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام، فإنه لا قوام إلاّ به، وربّما بلغ الحمل من الملح في دواخل السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار" (ابن حوقل، 1979، ص98).

إن أودغست عرفت حركة تجارية نشيطة ساعد في تكوينها تجار من الشمال الأفريقي، فجلبوا إليها القمح والتمر والزبيب، حتى وصل سعر قنطار القمح عندهم في أغلب الأوقات ستة مثاقيل، وكذلك التمر والزبيب (حسن، 1957، ص99)، كما كانت البلد تتمتع بثروة حيوانية متمثلة في الغنم والبقر، كما يوجد عندهم الإبل وحيوان يستخدم جلده في صناعة الدورق يسمّى (اللمط) (الدالي، 1996، ص53).

7.3 مدينة تنبكت:

مدينة تنبكت تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بالمنطقة المعروفة بمنحنى النيجر عند دوران قرصه الشمالي(شلبي, 2000, ج6, ص195)، وتعتبر مدينة تنبكت حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى، وهي قريبة من نهر النيجر، وأغلب الآراء تؤكّد أنها تأسست في أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي (حسن،1957، ص218؛ الدالي، 1996، ص91؛ حمودة، د.ت، ص27).

ويبدوا أن مؤسسيها من البربر الطوارق، وخاصة طبقة النبلاء والأعيان والسادة منهم، وكانوا ينزلون بها شهور الصيف، وفي الخريف يرتحلون، وسمّيت تنبكت بهذا الاسم نسبة إلى اسم عجوز اسمها تنبكت كانت تسكن المكان قبل إنشاء المدينة، وكان الرحّالة ينزلون حول بيتها فتساعدهم ويساعدونها، وتحرس لهم بعض متاعهم، فلما أنشئت المدينة سميت باسم المرأة (السعدي، 1898، ص20،21).

ومثلث التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها، واهتموا بها اهتماماً شديداً، وتوافد عليها التجار من السودان الغربي، ومن الشمال الأفريقي في حركة دؤوبة، يحملون معهم بضائعهم، ويعودون محمّلين بالذهب والرقيق، وناب الفيل وريش النعام، وقد بلغت تنبكت ذروة الازدهار الاقتصادي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الذي عُرف بالعصر الذهبي لهذه المدينة (الدالي، 1999، ص307-308)) حيث بلغت القوافل القادمة إليها من الشمال الأفريقي في سنة (751هـ/1350م) اثني عشر ألف جمل (قداح، 1974، ص55).

وذكر ابن خلدون العلاقات التجارية في تنبكت حيث قال: "...وهابتهم أمم السودان، وارتحل إلى بلادهم

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

التجار من بلاد المغرب وأفريقيا" (ابن خلدون، 1979، ج6، ص 200).

إن مركز تنبكت التجاري كان واضحاً منذ نشأتها، إذ أنها تقع على ملتقى طرق القوافل البرّية عبر الصحراء، والقوافل النهرية التي تسير بنهر النيجر وأهم الطرق البرية التي كانت تتصل بتنبكت أربعة هي:

- الطريق من مصر مَارّاً بكانم إلى تنبكت.
- الطريق من تونس مارّاً بُجار إلى تنبكت.
- الطريق من المغرب الأقصى مارّاً بسجلماسة(*) وتوات (**) إلى تنبكت.
- الطريق من تغازة (***) مارّاً بولاته (****) إلى تنبكت (شلبي، 2000، ج6، ص197).

انتشرت شهرة تنبكت التجارية في القرن الثاني عشر الميلادي، وخاصة كمركز لتجارة الذهب والملح الذي كان يوجد بها على ألواح ضخمة، ولشدّة ضخامتها لم يكن الجمل يحمل منها إلا لوحين، وكانت البيوت والمساجد تبنى من هذه الألواح (شلبي، 2000، ج6، ص197)، وفي ذلك يقول الوزان عن ملح تغازة: "...فيه عدد من مناجم الملح تُشبه مقالع الرخام، يُستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة، يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح، وليسوا من سكان البلدة" (الوزان، 1979، ص108،109).

ويصف الوزان تنبكت بوفرة خيراتها وبكثرة الحوانيت التي تبيع المنتوجات القطنية والأقمشة المجلوبة من الشمال الأفريقي وأوروبا (الوزان، 1979، ص166)، ويصفها السعدي بأنها ملتقى التجار أصحاب رؤوس الأموال الكبيرة من كل بلاد (الدالي، 1999، ص308).

إن التجار في تنبكت احتفظوا بمكانة مرموقة وكبيرة، والمثال على ذلك أن حاكم تنبكت من قِبل إمبراطور سنغاي وهو (عمر بن محمد النَّدي)، زوّج ابنتيه من أخوين من تجار تنبكت لثرائهما الواسع، وكذلك مما زاد من اهتمام الأمراء بالتجار أن الملك أعلن عداءه لليهود، حتى إنه لم يقم في بلاده يهودي واحد، وإذا وصل إليه أن لأحد التجار علاقة مع يهودي صادر أمواله، وهذا الأمر ضاعف من الاعتماد على التجار المسلمين (حسن،1957، ص221).

(*) سجلماسة: تقع في المنقطة الغربية من الصحراء الكبرى، في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية =(الدالي، 1999, ص301).

(**) توات: تقع إلى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية وتبعد حوالي (1500كم) عن عاصمة الجزائر= (فرج, 1977م, ص1).

(***) تغازة: تقع في جنوب المغرب الأقصى بقرب المحيط الأطلسي، على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكت، وأغلب سكانها من مسوفة، وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح = (ابن بطوطة، 1960).

(****) ولاته: هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا الحالية، سكانها خليط من الزنوج والعرب، هاجر إليها عدد من علماء تنبكت زمن الملك سني علي = (الدالي، 1999).

الاقتباس: بازينة، عبد الله سالم. (2025). أثر العلاقات التجارية للتجار المسلمين في شمال أفريقيا مع ممالك وشعوب جنوب الصحراء في العصر الوسيط. *مجلة كلية الآداب جامعة مصراتة (Faculty of Arts Journal)*. 20، 349-374.
https://doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

لم تكن تنبكت مركزاً تجارياً وسوقاً هاماً فقط، بل كانت مركزاً عظيماً من مراكز العلم والثقافة، يقول السعدي في تنبكت:

> وما دنستها عبادة الأوثان، ولا سجد على أديمها قطّ لغير الرحمن، كانت مأوى العلماء والعابدين، ومآلف الزاهدين والأولياء، ومُلتقى الفُلك والسيار، فجعلوها خزانة لمتاعهم وزروعهم، إلى أن صارت مسلكاً للسالكين في ذهابهم ورجوعهم، ويأتيها الناس من كل جهة ومكان، وقد صارت سوقاً للتجارة (السعدي، 1898، ص20،21).

8. خاتمة:

بعد الحديث عن التجارة والظروف التي ساعدت عليها من معاهدة البقط التي فتحت أبواب التجارة على مصراعيها أمام التجار المسلمين، والتي نظّمت التجارة مع البلاد الإسلامية، ثم التجارة الكارمية، وأهم الموانئ والمراكز التجارية التي تحوّلت شيئاً فشيئاً من مراكز تجارية إلى مراكز ثقافية ودينية إسلامية، ساهمت بدور كبير في نشر الإسلام، ثم دور التجار المسلمين في نشر الإسلام جنوب الصحراء ومكانتهم لدى شعوب وممالك هذه المنطقة، توصلت في نهاية هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- إن مرحلة الهجرة والتواصل بين العرب والأفارقة على هيئة أفراد وجماعات قديمة (ويمكن القول أنها بدأت في عصور ما قبل التاريخ، وتأثرت بعوامل، منها عامل الجوار والاقتصاد والثقافة) وهي التي كوّنت الأسس المتينة للعلاقات العربية مع بلاد ما وراء الصحراء في العصور اللاّحقة.

- أظهر العرب خصائص فريدة في التأثير على الجماعات الأفريقية التي سكنت معها، وأسهموا في ترسيخ أسس العقيدة الإسلامية، حتى بدأ المواطنون الأفارقة يدعون إلى الإسلام بين مواطنيهم في حركة سلمية.

- كان لحركة التجارة الفضل الأول في فتح أبواب التعامل بين المسلمين والوثنيين، فكانت محكّاً جيّداً للتعامل بين حضارة الوثنيين الواهية والحضارة الإسلامية المميزة، التي استوعبت ما سِواها، وكان تأثير التجارة واضحاً في الجزء الغربي من القارة، نتيجة لاهتمام السلاطين العرب، الذين كانوا تجّاراً اهتموا بالتجارة وجمع المال، فدور التجارة في نشر الإسلام كان أكثر فاعلية في غرب أفريقيا ووسطها.

- قدوم أعداد كبيرة من التجار والفقهاء والدعاة المسلمين من الشمال الأفريقي ومصر، بعث نشاطاً ملحوظاً جنوبي الصحراء في العصور الوسطى، وأدى هؤلاء التجار والفقهاء واجبهم في نشر الإسلام، وتأثيرهم على الملوك الأفارقة الذين اعتنقوا الإسلام، فاقتدت بهم شعوبهم، ويمثل اعتناق الشعوب لدين حكامها ظاهرة واضحة في تاريخ الحركة الإسلامية.

- لم تكن منطقة جنوب الصحراء الكبرى مجهولة أو غير معروفة كما يدعي الأوروبيين الذين وفدوا إليها لاستعمارها ونهب خيراتها، بل كانت حقيقة مجهولة

بالنسبة لهم، لأنهم كانوا يعيشون في عصور الظلام والتخلّف وفي التناحر الديني والمذهبي، وهي ليست كذلك بالنسبة للمسلمين الذين ارتادوها منذ زمن بعيد مهاجرين وتجاراً ودُعاةً وصوفيين.

- إن تحوّل طرق التجارة من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية (باكتشاف رأس الرجاء الصالح، وتطور الصناعة والمواصلات، والبحث عن مصادر أخرى للتجارة) من أهم أسباب سقوط وانهيار المراكز التجارية والثقافية جنوب الصحراء، لفقدانها أعظم مصادر دخلها ومعيشتها.

تضارب المصالح

يُقرّ المؤلف بعدم وجود تضارب في المصالح.

استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي

يقرّ المؤلف بأنه استخدم chatGPT في إعادة صياغة العنوان والملخص باللغة الإنجليزية، ولم يستخدم أي أدوات ذكاء اصطناعي في إعداد أي جزء آخر من أجزاء هذا البحث

المراجع:

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع المدني.

أبادي، محمد حميد الله الحيدر. (د.ت). مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة. مكتبة الثقافة الدينية.

أحمد، محمد عبد العال. (1987). منسا مُوسى ورحلة حجّه الشهيرة. د.ن.

أحمد، محمد عبد القادر. (1986). المسلمون في غينيا. د.ن.

الأحمر، إمحمد مصباح. (2004). أفريقيا والعرب. شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة.

أرنولد، توماس. (1970). الدعوة إلى الإسلام (ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي). مكتبة النهضة المصرية.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله. (د.ت). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. مكتبة الثقافة الدينية.

الإصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي. (1961). المسالك والممالك. مكتبة الحيينى.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد الطنجي. (1960). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (تحقيق: كرم البستاني). دار صادر.

ابن جبير، محمد بن أحمد. (1968). رحلة ابن جبير. دار التراث.

ابن حوقل، محمد بن عبد الله النصيبي. (1979). صورة الأرض. مكتبة الحياة.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبد الله. (1976). المسالك والممالك. د.ن.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (1979). العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. مؤسسة جمال للطباعة والنشر.

ابن دقماق، محمد بن أيدمر العلائي. (1909). الانتصار بواسطة عقد الأمصار. مطبعة بولاق.

البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز. (1992). المسالك والممالك (تحقيق: أدريان فان ليوفن، وأندرى فيرى). الدار العربية للكتاب.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحي بن جابر. (1957). فتوح البلدان (تحقيق: صلاح الدين المنجد). مكتبة النهضة العربية.

باري، عثمان براما. (2001). جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي. دار الأمين للطباعة.

حسن، حسن إبراهيم. (1957). انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى. معهد الدراسات العربية.

حسن، حسن إبراهيم. (1963). انتشار الإسلام في أفريقيا. مكتبة الإنجلو المصرية.

حسن، حسن إبراهيم. (1996). تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. دار الجيل.

حسن، يوسف فضل. (1989). دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب. دار جامعة الخرطوم للنشر.

الدالي، الهادي المبروك (1991). تاريخ أفريقيا فيما وراء الصحراء. الدار المصرية اللبنانية.

الدالي، الهادي المبروك (1999). التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء. الدار المصرية اللبنانية.

الدالي، الهادي المبروك (1996). مملكة مالي الإسلامية. دار الملتقى للطباعة والنشر.

الدالي، الهادي المبروك (2000). التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، الزاوية: الشركة العامة للورق والطباعة.

زكي، عبد الرحمن. (1965). الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا. مطبعة يوسف.

زكي، عبد الرحمن. (1965). الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا. مطبعة يوسف.

زيربو، جوزيف كى. (1994). تاريخ أفريقيا السوداء (ترجمة: يوسف شلب الشام). منشورات وزارة الثقافة.

السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران. (1898). تاريخ السودان (تحقيق: هوداس، انجي). مطبعة بروين.

السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري. (1954). الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى. دار الكتاب.

سعيد، إبراهيم أحمد. (1993). أفريقيا جنوب الصحراء: دراسة في الجغرافيا الإقليمية. جامعة السابع من أبريل.

الشطشاط، علي حسين. (2004). وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا. مجلة الجامعة الأسمرية، 2(3).

شلبي، أحمد. (2000). موسوعة التاريخ الإسلامي – الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن. مكتبة النهضة المصرية.

الطيبي، أمين توفيق. (1987). كانم–برنو بالسودان الأوسط، صلات تاريخية وتجارية عريقة بالشمال الأفريقي. مجلة البحوث التاريخية، 2. مركز جهاد الليبيين.

الطيف، علي محمد (1986). أفريقيا العربية. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

الطيف، علي حامد خليفة (2003). المراكز التجارية الليبية وعلاقتها مع ممالك السودان الأوسط وأثرها على الحياة الاجتماعية. منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

عربي، علي الطاهر. (1989). مظاهر علاقة العرب بأفريقيا الشرقية. مجلة الدراسات الأفريقية، 2. مركز البحوث – سبها.

عبد الحليم، رجب محمد. (د.ت). المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء. موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي.

عبد الحليم، رجب محمد. (1999). العروبة والإسلام في أفريقيا الشرقية منذ ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين. دار النهضة العربية.

عبد الرسول، كوثر. (1973). دراسات في الهجرة الحديثة إلى أفريقيا – العرب في شرق أفريقيا. منشورات كلية الآداب.

عثمان، شوقي عبد القوي. (2000). التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك. المجلس الأعلى للثقافة.

علي، فاي منصور. (1997). أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغهاي الإسلامية. منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

العمري، شهاب الدين محمد بن يحيى بن فضل الله. (2002). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (تحقيق: أحمد عباس). منشورات المجمع الثقافي.

الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. (1986). الإسلام والعروبة في السودان. العربي للنشر والتوزيع.

غيث، مطير سعد. (2005). الثقافة الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي. دار المنار الإسلامي.

فرج، محمد فرج. (1977). إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. المؤسسة الوطنية للكتاب.

الفيتوري، أحمد سعيد. (1972). ليبيا وتجارة القوافل. الإدارة العامة للآثار.

الفيتوري، أحمد. (1981). الجاليات العربية المبكرة في بلاد السودان. مجلة البحوث التاريخية، 2. مركز دراسات وجهاد الليبيين.

الفيتوري، عطية مخزوم. (1998). دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء. منشورات جامعة قاريونس.

قداح، نعيم. (1975). أفريقيا الغربية في ظل الإسلام. الشركة الوطنية للنشر.

القلقشندي، أبو العباس علي بن أحمد. (1987). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. دار الكتب العلمية.

كتيا، سليمان الأمين. (1996). الإسلام والمسلمون في غامبيا من 1000-1926 (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة طرابلس.

محمد، ظاهر جاسم. (2001). التواصل العربي الأفريقي عبر التاريخ ودور ليبيا في إدامته. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، 18. جمعية الدعوة الإسلامية.

محمد، ظاهر جاسم. (2003). أفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال: دراسة تاريخية. المكتب المصري لتوزيع المطبوعات.

محمد، ظاهر جاسم. (2003). العلاقات الليبية الأفريقية 1969-2000. مجلة كلية الدعوة الإسلامية، 20. جمعية الدعوة الإسلامية.

محمود، حسن. (1986). الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا. دار الفكر العربي.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (1965). التنبيه والإشراف. مكتبة خياط.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. (1988). مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد). المكتبة العصرية.

المسعودي، يوسف فضل. (1989). الإسلام والعروبة في السودان (المحرر: محمد عبد السلام الجفائري). مركز جهاد الليبيين.

المشرى، محمد. (2004). بلاد القرن الأفريقي. شعبة التثقيف والإعلام والتعبئة.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. (1959). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. د.ن.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (1950). المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار. مطبعة بولاق.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (1967). السلوك لمعرفة دول الملوك. لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الوزان، الحسن بن محمد الزياتي. (1979). وصف أفريقيا. (ترجمة: عبد الرحمن حميدة، علي عبد الواحد). جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله. (د.ت). معجم البلدان. دار صادر.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر. (1939). تاريخ اليعقوبي. طبعة النجف.

يونس، محمد المبروك. (1991). تاريخ التطور السياسي للعلاقات الليبية الأفريقية 1952-1977. الشركة العامة للورق والطباعة.

يونس، محمد المبروك. (1994). دور ليبيا في مسار العلاقات العربية الأفريقية 1969-1977. الشركة العامة للورق والطباع.

Citation: Bazina, A. S., (2025). The impact of the commercial relations of North African merchants with the kingdoms and peoples of Sub-Saharan Africa in the Middle Ages. *Faculty of Arts Journal- Misurata University*.20, 349 -374 .https;//doi.org/10.36602/faj.2025.n20.23

The Impact of the Commercial Relations of North African Merchants with the Kingdoms and Peoples of Sub-Saharan Africa in the Middle Ages

***Abdullah Salem Bazina**

Faculty of Arts, Misurata University, Libya

*a.bazina@art.misuratau.edu.ly

Received 24- 08 - 2025 **Accepted** 24- 09 - 2025 **Published Online** 25- 09 - 2025

Abstract

Trans-Saharan trade in the medieval period represented the core of cultural and civilizational exchange between North Africa and Sub-Saharan Africa. Its role was not limited to the exchange of goods alone; it also formed a channel for spreading Arab-Islamic culture deep into the African continent. Muslim merchants, through their dealings based on honesty and exemplary conduct, contributed to gaining the trust of African societies, paving the way for the voluntary and peaceful acceptance of Islam. Trading cities like Timbuktu and Awdaghust transformed into centers of cultural and religious influence, while treaties such as the Baqt treaty regulated the movement of trade and cultural exchange. This research seeks to highlight the importance of this civilizational role, aiming to analyze the mechanisms of commercial and cultural communication and answer the central question regarding the impact of these relations on shaping the region's civilizational reality. The research relied on the analytical historical method and reached several key results, including: that trade was a decisive factor in creating lasting cultural links; that it refuted European claims about the region's backwardness and isolation; and that the shift of trade routes from overland to maritime was the main reason behind the decline of its civilizational centers.

Keywords: *Africa, trade, Islam, immigration, kingdoms, Middle Ages*.

This work is licensed under CC BY-4.0